

المنظمة الاعلامية عند الفاطميين وأثرها على الوضع السياسي

الباحث / جبير سلمان خماط أ.د عبد الامير هويدي الحيدري

جامعة المصطفى العالمية كلية العلوم والمعارف

المستخلص:-

يبدو ان ملامح الحياة السياسية للدولة الفاطمية في المغرب وامتدادها إلى أجزاء مترامية يعود إلى النجاح الذي حققته دعوة التشيع حيث استطاع الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) (ت 148هـ/ 765م) بفضل مهارته السياسية واتباعه مبدأ التقية من الحفاظ على الحركة الشيعية وتجنب الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (136-158 / 754-775) ثم دخلت الحركة الشيعية بوفاة الإمام جعفر الصادق منعطفاً حاسماً في تاريخها تمثل ذلك في انقسامها على قسمين هما الأمامية أو الإثنا عشرية ويرى هذا القسم أن الإمام بعد جعفر الصادق هو ابنه موسى الكاظم (عليه السلام) والإمام الأخير هو محمد المهدي المنتظر (عليه السلام) الذي اختفى عام (260 هـ/ 873م) في سامراء ولا يظهر إلا في آخر الزمان ، لقد تضمن البحث دراسة الدولة الفاطمية من حيث التسمية والنسب وعلاقتها بالإسماعيلية ثم ظهورها واهتمام الفاطميين بفتح مصر فنهاية الدولة الفاطمية ومن ثم دراسة الجهد السياسي الذي قام به الدعاة الفاطميون تمهيداً للفتح، فضلاً عن الجهد الفكري والدعائي، فدراسة الأوضاع السياسية والدينية. من حيث بداية الدعوة الفاطمية بالمغرب وظهور أبي عبد الله الشيعي (ت299هـ/911م) وسياسة الفاطميين مع أهل الذمة.

Abstract:-

It seems that the features of the political life of the Fatimid state in Morocco and its extension to vast parts are due to the success achieved by the call to Shiism, as Imam Jaafar al-Sadiq (peace be upon him) (d. 148 AH / 765 AD) was able, thanks to his political skill and following the principle of taqiyyah, to preserve the Shiite movement and avoid the Abbasid Caliph Abu Jaafar Al-Mansur (136-158 / 754-775) Then, with the death of Imam Jaafar al-Sadiq, the Shiite movement entered a decisive turning point in its history, which was represented by its division into two sections: the Imamiyya or the Twelver Shiites. This section believes that the imam after Jaafar al-Sadiq is his son Musa al-Kadhim (peace be upon him), and the last imam is Muhammad al-Mahdi the Awaited (peace be upon him), who He disappeared in (260 AH / 873 AD) In Samarra, and it does not appear until the end of time. The research included a study of the Fatimid state in terms of naming, lineage, and its relationship with Ismailism, then its emergence, and the interest of the

Fatimids in the conquest of Egypt, the end of the Fatimid state, and then a study of the political effort undertaken by the Fatimid preachers in preparation for the conquest, in addition to the intellectual and propaganda effort, so the study Political and religious situations. In terms of the beginning of the Fatimid call in Morocco, the emergence of Abu Abdullah al-Shi'i (d. 299 AH/911 AD), and the policy of the Fatimids with the people of Dhimmah.

المقدمة:-

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المخلوقين وأعظم المرسلين وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه المرضيين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

يبدو ان ملامح الحياة السياسية للدولة الفاطمية في المغرب وامتدادها إلى أجزاء مترامية يعود إلى النجاح الذي حققته دعوة التشيع إذ استطاع الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) (ت 148هـ/ 765م) بفضل مهارته السياسية واتباعه مبدأ التقية من الحفاظ على الحركة الشيعية وتجنب الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (136-158 هـ/754-775م) ثم دخلت الحركة الشيعية بوفاة الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) منعطفاً حاسماً في تاريخها، فقد سعى الفاطميون لإقامة خلافة ينضوي تحت حكمها جميع الشعوب الإسلامية ولهذا كان من الطبيعي أن يعتمد الخلفاء الفاطميون على جيشهم في تحقيق ذلك الهدف وإلى جانب الجيش أسطول قوي يعينه على إتمام مهامه ولصد الأعداء عن دولته.

وقد اعتمدت الدولة الفاطمية في المرحلة الأفريقية على البربر وكانت قبائل كتامة** العنصر الأساسي المكون للجيش الفاطمي في مرحلة قيام الدولة بإفريقية فضلاً عن قبائل أخرى من البربر وكانت هذه القبائل تضم قوة بشرية هائلة أعطت للدولة الفاطمية العظمة والقوة العسكرية الكبيرة علماً بأن الجيش الفاطمي يتكون في غالبيته من قبيلة كتامة يضاف إلى ذلك الصقالبة والمجنودون العرب، وتوجد فرق أخرى قدمت مع جوهر والمعز إلى مصر مثل الباطنية والجوزرية والبرقية وعند انتقال الدولة الفاطمية إلى مصر عرفت هذه الطوائف بالمغاربة. ووضح البحث أن الدولة الفاطمية تعد من الدول الإسلامية التي قامت على أساس نصره المذهب الشيعي الإسماعيلي، وقد اعتمدت بشكل واسع على الدعاية السرية لبت أفكارها وتثبيت أركانها بأسلوب

** قبائل كتامة : وهي قبيلة كبيرة من البربر البرانس ينتسبون إلى كتم بن برنس ويقومون في ما يعرف ببلاد كتامة ، وتعتبر كتامة من أشد قبائل البربر بأساً وتمتد حدود عمارة بلدهم من حدود جبل أوراس في الجنوب إلى سيف البحر ما بين بجاية وبونة . ينظر: القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي(ت363هـ) ، رسالة افتتاح الدعوة – رسالة في ظهور الدعوة العبيدية (الفاطمية) 1ط، تحقيق : وداد القاضي ، دار الثقافة ، بيروت ، 1970م ، ص57 ؛ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1405م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، 1979م، ج4، ص31-32

سري، والعمل الحثيث لإيصال الدعوة إلى أكبر مساحة ممكنة من أرجاء العالم الإسلامي. وأوضحت الدراسة كذلك أن بداية الدولة الفاطمية كانت عبارة عن حركة ثورية سرية منظمة اكتسبت شهرة سريعة، وتسّاح بها الدعاة الفاطميون المعروفون بالقوة والاندفاع والقدرة على الإقناع وقد أفضت جهودهم إلى إقامة دولة لهم في بلاد المغرب في أواخر سنة (296هـ / 908م) وبداية سنة (297هـ / 909م). ويبدو أن الفاطميين كانوا طموحين بشكل لافت للنظر إذ تطلعوا إلى تحقيق أكثر من ذلك، فقد وقع نظرهم نحو الشرق، وفعلاً بعد الجهود الحثيثة تمكنوا من الوصول إلى مصر سنة (358هـ / 969م) وهذا الانتقال مثل إنجازاً عظيماً حفظ لهم مكاناً بارزاً في التاريخ الإسلامي، ففي ظل الخلافة الفاطمية وتشجيعها ورعايتها لأهل الفكر استطاعت مصر ان تنتزع زعامة العالم الإسلامي في الحياة العلمية وبذلك نشرت آراءها وافكارها في البلدان الأخرى ، حتى رأينا بعض العلماء الناقمين على الفاطميين يفدون الى مصر تحت حالة الجذب العلمي التي تميزت بها القاهرة في هذا العصر ومنهم الإمام الغزالي (ت555هـ/1160م) الذي هاجم الفاطميين في كتابه (فضائح الباطنية) وغيرها وأصبحت القاهرة قبلة أنظار العلماء ومحط رحال الفضلاء .

لقد تم تقسيم البحث الى مبحثين وتمهيد درس الجهد السياسي الذي قام به الدعاة الفاطميون تمهيداً للفتح، فضلاً عن الجهد الفكري والدعائي وتضمن المبحث الاول: دراسة الدولة الفاطمية من حيث التسمية والنسب وعلاقتها بالإسماعيلية ثم ظهورها واهتمام الفاطميين بفتح مصر فنهاية الدولة الفاطمية
اما المبحث الثاني فقد درس: الأوضاع السياسية والدينية. من حيث بداية الدعوة الفاطمية بالمغرب وظهور أبي عبد الله الشيعي (ت299هـ/911م) وسياسة الفاطميين مع أهل الذمة. فضلاً عن الخاتمة فالمصادر والمراجع.

المبحث الاول

الدولة الفاطمية

التسمية: ان مشكلة النسب الفاطمي هي مشكلة موروثه ، اذ ان معظم المخالفين لهم شككوا بنسبهم الفاطمي ، فيما أكد المؤيدون لهم انتسابهم الى الامام علي بن ابي طالب (v) وسماوا بالفاطميين نسبةً الى السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بنت رسول الله محمد (p) فيما تقول الروايات التي تؤيد صحة نسبهم (1)، وأن اول من ولي منهم أبو محمد عبد الله (2). ويؤيد نسبهم المقريزي (3) فقال : ((هذه أقوال ان انصفت تبين لك انها موضوعه فان بني علي بن ابي طالب قد كانوا اذ ذاك على غاية من وفور العدد وجلالة القدر عند الشيعة فما الحامل لشيعتهم على الاعراض عنهم والدعاء لابن مجوسي أو ابن يهودي فهذا ما لا يفعله أحد ولو بلغ الغاية من الجهل والسخف وانما جاء ذلك من قبل ضعف خلفاء بني العباس عندما غصوا بمكان الفاطميين فانهم كانوا قد اتصلت دولتهم نحو من مائتين وسبعين سنة وملكوا من بني العباس بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والحرمين واليمن وعجزت عساكر بني العباس عن مقاومتهم فلاذت حينئذ بتغيير الكافة عنهم بإشاعة الطعن في نسبهم حتى اشتهر ذلك ببغداد)).

(1) حمادة ، محمد ماهر ، الوثائق السياسية والادارية للعهود الفاطمية والابنوية – دراسة ونصوص ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1980م ، ص 28 ؛ حسن ، ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب – مصر – سورية وبلاد العرب ، ط3 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1964م ، ص 57

(2) عبد الله : اشتهر باسم عبيد الله . ينظر : القاضي النعمان ، رسالة افتتاح الدعوة ، المصدر السابق ، ص 52 وما بعدها ؛ الوزير السراج ، محمد بن محمد الاندلسي (ت 1149هـ) ، السلسلة السندسية في الاخبار التونسية ، تحقيق : محمد الحبيب ، دار الثقافة الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1970م ، ص 456 ؛ عبد الوهاب ، حسن حسني ، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيا ، تونس ، 1966م ، ج1 ، ص 438 .

(3) تقي الدين احمد بن علي (ت 845هـ) ، اتعاط الحنفاء بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق : د. جمال الدين الشيال ، القاهرة ، 1996م ، ج1 ، ص 48 – 49 .

علاقة الفاطميين بالإسماعيلية :

كانت الدولة الفاطمية على المذهب الاسماعيلي ، وقد اعترفوا بموت اسماعيل وأن الامامة انتقلت بعده الى محمد بن اسماعيل ثم في أولاده من بعده ، وهم في رأي احد المؤرخين: (4) الإسماعيلية الباطنية التعليمية المشهورة في الفرق ، فيما قال غيرهم من الإسماعيلية وهم الواقفية ان الامام بعد جعفر اسماعيل نص عليه باتفاق من أولاده الا انهم اختلفوا في موته في حال حياة أبيه ، فمنهم من قال لم يممت الا انه اظهر موته تقية من خلفاء بني العباس وعقد محضراً واشهد عليه عامل المنصور بالمدينة(5)، ومنهم من قال الموت صحيح والنص لا يرجع قهقري والفائدة في النص بقاء الامامة(6) في اولاد المنصوص عليه دون غيره ، فالإمام بعد اسماعيل محمد بن اسماعيل وهؤلاء يقال لهم المباركية المنسوبون الى مبارك مولى جعفر بن محمد(7).

ويذكر عن هؤلاء يريدون الامامة في ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر كدعوى الباطنية فيه ، وقد ذكر اصحاب الانساب في كتبهم ، ان محمد بن اسماعيل بن جعفر مات ولم يعقب(8) .

تطورت الدعوة الإسماعيلية في عهد الفاطميين ، تطوراً تنظيمياً ، فقد أوجدوا منصب داعي الدعاة والذي يكون على رأس الدعوة حيث يعقد مجالس الدعوة ، وله نواب يبلغون الدعوة للناس . والإمامة الفاطمية هي خلافة دينية تقوم على اساس الوراثة عن النبي (p) وعلي بن ابي طالب (u) ثم اولاده من بعده ثم الفاطميين ، اذن فلا تقوم شرعية الإمامة الفاطمية وحققها المطلق الا على ضوء صحة الانتساب الى الإمام علي (u) وفاطمة (عليها السلام) (9).

لذلك كان الخلفاء الفاطميين يعدون ولي العهد إعداداً دينياً وسياسياً حتى يصبح صالحاً للزعامتين الدينية والدنيوية ، لذلك أصبحت تسمية ولي العهد في حياة الامام واجب ديني ، فاصبح هذا تقليداً فاطمياً لدى الاسرة الحاكمة

(4) الشهرستاني ، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر احمد(ت548هـ/1153م) ، الملل والنحل ، تحقيق : امير علي وعلي حسن فاعود ، دار المعرفة، بيروت ، 1992م، ج2، ص5.

(5) المصدر نفسه ، ج2، ص28 .

(6) ان كلمة امامة لها مدلول كلمة خلافة الا ان الفاطميين كانوا يفضلون لقب إمام على لقب خليفة ، لان كلمة خليفة فيها معنى النيابة بعد النبي (p) ، اما الامام فلا يعني فقط المجيء بعد النبي (p) بل يدل ايضاً على السلطان الديني الذي جاء مباشرة من الله . ينظر: العبادي ، احمد مختار ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1971م، ص262-263.

(7) النوبختي ، ابو محمد الحسن بن موسى (ت288هـ/900م) فرق الشيعة ، تعليق: السيد محمد صادق بحر العلوم ، النجف ، د، ت، ص80 .

(8) البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت429هـ/1037م) الفرق بين الفرق ، دار الفكر ، مصر ، 1910م، ص47 .

(9) مشرفة ، عطية مصطفى ، نظم الحكم في مصر في عصر الفاطميين (358-567هـ/968-1711م) ط2، دم، د، ت، ص292 وما بعدها،

يقضي على الخليفة أن ينص بولاية العهد الى ابنه الاكبر ، الا في حالات استثنائية (10)، منطلقين مما فعل الامام جعفر الصادق (U) بالنص على ابنه اسماعيل دون ابنه الاكبر عبد الله كما يعتقدون .
ظهور الدولة الفاطمية:

الدولة الفاطمية وهي احدى الدول الشيعية والتي ظهرت في العصر الوسيط بالمغرب الإسلامي، وفصلته نهائياً عن الخلافة العباسية ، ونشرت فيه مذهبها الشيعي الاسماعيلى ، وبذلك حققت ما عجزت عن تحقيقه بالمشرق الاسلامي ،مكان الدعوة الاصلي ، حيث تمكنت من إنشاء دولة لها ، وذلك بفضل دعائها من الوافدين المشرق وعلى رأسهم أبو عبد الله الشيعي الذي يعرف ايضاً بالمحتسب بالمشرق والصنعائي الذي وصل إلى المغرب في حدود (280هـ / 839م) وقصد بلد كتامة بعد ما اتصل ببعض زعمائها في موسم الحج (3) . وكان ابو عبد الله الشيعي (4) بذور الدعوة في بلاد كتامة ، حيث وجدت فيها المكان الخصب والعدد الكثير من الاتباع في وقت قصير لأنه ، أي الداعية الشيعي ، اتصف بالزهد والتقشف واستغل تذمر الناس من الاغالبية بسبب سوء سيرتهم، وفساد سياستهم ،وتهاونهم بأمره في البداية حتى استحكمت دعوته ، وتقوى نفوذه ، وتجلى خطره على ملكهم وهكذا اعلن الخلافة الفاطمية سنة (296هـ / 910م) (1) .

(10) ثامر ، عارف ، المستعلى بالله ، ط1 ، دار الجيل ، د ، م ، 1980م ، ص 13- 14 .
(3) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج6 ص127 ؛ ابن عذارى ، أبو عبد الله محمد المراكشي (ت بعد 712هـ / 1312م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق: ج.س كولان واليقي بروفنسال ، بيروت ، د ، ت ، ج1 ، ص 124. 125 .

(4) هو الحسن بن احمد بن محمد ولد بصنعاء اليمن ، ولقب بالمحتسب لأنه تولى الحسبة بالبصرة ، او غيرها من مدن العراق ، والحسبة هي مراقبة الاسواق ، كما عرف بإسم الصوفي لأنه كان يلبس خرقة الصوفة ، وهي الملابس المهلهلة ، او حتى المعلم ، لعلمه بأحوال المذهب ونسب ارسال الحلواني وابي سفيان إلى جعفر الصادق (ت 148هـ . 765م) الذي قال لهما ((ان المغرب ارض بور فأحرثا)) حتى يجيء صاحب البذر ، وعرف بالذكاء والدهاء ، ولذا اختاروه الاسماعيلية لنشر دعوتهم بالمغرب . ينظر: المسعودي ، ابو الحسن على (ت 346هـ . 956م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق: اسعد داغر ، دار الاندلس ، بيروت ، 1965م ، ج1 ص 286 ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج6 ص 127 ؛ ابن خلكان ، شمس الدين ابو العباس احمد بن ابراهيم بن ابي بكر الشافعي (ت 681هـ = وفيات الاعيان وابناء الزمان ، بولاق = 1283م تحقيق: الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور ، ج2 ص 123 ؛ المقرئ ، تقي الدين احمد بن علي (ت 845هـ / 1441م) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقرئية ، بولاق ، 1270هـ ، ج2 ص 10، 11 .

(1) الصالح ، مرمول محمد ، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الاسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983م ، ص 8 .

اهتمام الفاطميين بفتح مصر :

ولابد لنا ان نعرف احوال مصر التي لم تكن عربية في الاصل او مسلمة حيث ان اهلها كانوا شعباً مسيحياً . تلقب بالمسيحية منذ ظهورها وليس الدلالة على ذلك من قول الروايات المسيحية بأن اول من دعا لها في مصر هو القديس مرقس الرسولي أحد تلامذة المسيح ، الذي جاءها في نحو منتصف القرن الأول الميلادي (2) .

ويظهر أن المسيحية انتشرت بصفة مؤكدة انتشاراً كبيراً في كل انحاء مصر ، في أواخر القرن الثالث الميلادي وأوائل القرن الرابع ، وسمي عصر الإمبراطور دقلديانوس في مصر بالعصر البيزنطي ،ومما يدل على انتشار المسيحية في مصر ، أن الإسكندرية كانت احدى كراسي الشهداء (3) المسيحية الأربعة الهامة فيما بعد، وأن رئيسها اختص البابا (الحبر الأعظم) وهو اللقب الذي اخذه منه اسقف روما بعد ذلك(4).

كذلك واكب انتشار المسيحية في مصر حركة قومية فقد جعل المصريون لغة عقيدتهم المسيحية ، لغتهم المصرية القديمة ، التي سبق أن حاربها المستعمر اليوناني والروماني ثم البيزنطي ، فبها كتب المصريون الأنجيل والتوراة ، وذلك عكس المسيحية الآخرين ، الذين جعلوا لغتهم الدينية اليونانية او اللاتينية فكان انتشار المسيحية في مصر ، معناه عودة اللغة المصرية القديمة ، التي اتخذت مظهراً اكثر تبسيطاً من الديموطيقية القديمة(1) .

وعرفت بالقبطية ،أخذه اسمها من اسم مصر الذي هو تسمية يونانية الاصل : بحيث ان كلمة قبطي (2) كانت تدل على المصري عند العرب ،ولاتزال تدل على مسيحي مصر إلى الآن فكان المصريون منذ اعتناقهم المسيحية مدفوعين بروح قومي ،يتمثل في ظهور اللغة القبطية (3) .فلما جاء العرب لفتح مصر في سنة 18 هـ /639م ، وكان المصريون يئنون من الاحتلال البيزنطي الاجنبي ، والاضطهاد لعقيدتهم ، فأنهم مع ذلك ،

(2) المقريري ، الخطط ج4 ص380.

(3) المصدر نفسه، ج4 ص382 .

(4) المصدر نفسه،ج4، ص380.

(1) القلقشندي، ابو العباس احمد (ت 823 هـ . 1418م) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، القاهرة،1913م ، ص472.

(2) اسم جد للمصريين ، المقريري ، الخطط، ج1 ص28 ؛ القلقشندي، المصدر نفسه ، ج3 ص413.

(3) القلقشندي، المصدر نفسه، ج3 ص413.

لم يتقبلوا وعلى كل حال تمكن العرب من اتمام فتح مصر في عام 21هـ / 642م (4) ، بسبب فتور مقاومة المصريين ، وانسحاب البيزنطيين وكرمز لفتح العرب لمصر ، أنشأوا فيها معسكراً قرب حصن بابليون سموه الفسطاط (5) وهو اسم لعله من اللاتينية او من العربية بمعنى الخيمة او المدينة (6) . فسكنته قبائلهم من المهاجرين والأنصار في خطط عرفت بخط أهل الراية أو قطائع (7) وسموه ايضا ((مصر)) (8) وذلك لوقوعه على الحدود الصحراوية مثل البصرة والكوفة ، وان عرفت ايضا "بفسطاط مصر" (9) أي بالاسمين معا ، ولقد اصبح هذا المعسكر مدينة عظيمة حتى لما أقام الفاطميون عاصمتهم القاهرة (1) عرفت إلى وقتنا الحاضر بمصر القديمة كذلك بنى العرب في الفسطاط مسجدهم الاول الذي عرف بإسم قائد الفتح : عمرو بن العاص ولا يزال يحمل اسمه إلى وقتنا ، او حتى بأسم : تاج الجوامع ، او الجامع العتيق (2) .

ولقد بقيت مصر بعد الفتح لمدة طويلة بعيدة عن حوليات مؤرخي المسلمين فبعد الفتح لم تكن الخلافة الاسلامية في الحجاز تهتم بمصر الامن حيث انها تنتج الحنطة او القمح (3) .

ولكن انقلبت حالة المصريين إلى السوء بانتقال الخلافة من الراشدين الذين كانوا يقيمون في الحجاز إلى اسرة بني امية ، التي انتقلت إلى مركز الحكم في الشام ، وأرادوا استغلال مصر في حروبهم ضد بني هاشم ، فأسرعوا بالاستيلاء على مصر على يد عمرو بن العاص ، الذي عاد للتعاون معهم ، بعد ان كانوا قد نبذوه في ايام

(4) المقرئزي ، المصدر نفسه ، ج4 ص382 .

(5) الحموي ، ياقوت الحموي ، ابو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ/1228م) معجم البلدان ، دار احياء التراث ، بيروت ، د.ت.ج6 ، ص377 ؛ المقرئزي ، الخطط ، ج2 ص67 .

(6) ابن عبد الحكم ، ابو القاسم عبد الرحمن (ت 242هـ) ، كتاب فتوح مصر والمغرب والأندلس نشرة لندن توري 1920م ص91 ؛ ج6 ص379 ؛ المقرئزي ، المصدر نفسه ، ج2 ص76 ؛ القلقشندي ، المصدر نفسه ، ج2 ص339 ؛ الشيال ، جمال الدين ، تاريخ مصر الاسلامية ، من الفتح العربي الى نهاية العصر الفاطمي ، دار الفكر ، القاهرة ، 1967م ، ج1 ، ص41 .

(7) المقرئزي ، المصدر نفسه ، ج2 ص76 ؛ السيوطي ، عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين (ت 1505.911م) حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ، دار الفكر ، القاهرة ، 1327هـ / 1909م ، ج1 ص57 .

(8) المقرئزي ، المصدر نفسه ، ج3 ص76 س12، 13 ؛ ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الاقريقي المغربي (ت 711هـ) ، لسان العرب ، بيروت 1955م ، ج7 ص24 .

(9) المقرئزي ، المصدر نفسه ، ج2 ص62 .

(1) المقرئزي ، الخطط ، ج5 ص59 .

(2) ابن اسحق ، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت 476هـ) ، كتاب فتوح مصر وأعمالها القاهرة ، 1275هـ ، ص52 .

(3) ابن بطريق ، البطريق افثيشيوع المكنى يسعيد بن بطريق ، (328هـ / 939م) ، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت 1909م ، ص27.26 .

الخليفة عثمان ومنذ ان استولوا عليها ، اعتبروها فتحت عنوة ، وان اهلها عبيدهم ، لهم ان يزيدوا عليهم ما يشاءون من المال (4).

وكان اهتمام الخلافة الفاطمية بفتح مصر منذ قيام دولتهم في المغرب ، حيث وجه الخليفة الفاطمي الاول المهدي حملاته الثلاث لفتح مصر ، لكن لم تحقق هذه الحملات اهدافها (5) لقد عُني الفاطميون بفتح مصر ، لأن ذلك يزيد من رقعة أملاكهم أولاً ، واستيلاءهم على هذه البلاد يعني إمتداد نفوذهم على البلاد التي كانت خاضعة لسلطان الاخشيديين ثانياً فضلاً عن ذلك ، فان عوامل الضعف التي دبت في الخلافة العباسية ، كانت مشجعة للفاطميين للتوجه نحو مصر ، منها استبدال الاتراك بشؤون الحكم الفعلية من جهة (11)، وقيام ثورة الزنج في اقليم البصرة والجزء الجنوبي من فارس سنة (255-270هـ/868-883م) من جهة أخرى (12). من جانب اخر كانت ثورات البربر ضد الفاطميين في المغرب عاملاً لدفع الفاطميين نحو الشرق (13)، فضلاً عن سوء الحالة العامة التي كانت تمر بها مصر في أواخر حكم الاخشيديين (352-358هـ/963-968م) (14) .

حيث قل ماء النيل ابتداء من سنة (352هـ/963م) ، فتسبب في الغلاء والقحط في البلاد ، فكثرت الفتن والاضطرابات وارتفعت الاسعار ، وفي سنة (356هـ/967م) بلغ ماء النيل ارتفاعاً لم يبلغه من قبل ، فعرض البلاد للفيضانات وانتشار الامراض والابوئة واتلاف المحاصيل مما تسبب بارتفاع الاسعار (15) .

(4) ابن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ج5 ، ص19 ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج1، ص170-171 .

(5) الكندي ، ابو عمر بن محمد بن يوسف (ت،350هـ/961م)، كتاب الولاة والقضاة، مهذباً ومصححاً بقلم رفن كست ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت، 1908م، ص76 .

(11) حسن ، علي ابراهيم ، مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي الى الفتح العثماني ، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، 1947م، ص85 .

(12) ابن خلدون ، العبر ، ج4، ص18-22.

(13) ومن أهم هذه الثورات ، ثورة ابي يزيد بن كيداد التي قضى عليها الخليفة الفاطمي المنصور بالله سنة 336هـ/948م للتفصيل عنها ينظر : ابو الفداء ، تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1840م، ص145؛ مغنية ، محمد جواد ، دول الشيعة في التاريخ ، مطبعة الآداب ، النجف ، 1948م، ص46

(14) ابن سعيد المغربي ، علي بن سعيد (ت673هـ) المغرب في حلى المغرب – القسم الخاص بمصر ، القاهرة ، د، ت، ص199 .

(15) المقرئزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت845هـ/1441م) ، اغائة الامة بكشف الغمة ، دار الهلال ، مصر ، 1990م، ص12 وما بعدها .

أما الأحوال السياسية في مصر فلم تكن أقل اضطراباً عن الأوضاع الاقتصادية، فبعد وفاة كافور الاخشيدي (16) سنة (357هـ/968م)، لم تكن هناك شخصية قوية تحكم البلاد (17). وعليه فإن الحالة الاقتصادية المتردية في تلك الفترة مع الأوضاع السياسية التي تعيشها البلاد، كانت عاملاً مشجعاً للفاطميين لفتح مصر، خصوصاً إذا ما علمنا بان قوماً من المصريين كتبوا الى المعز الفاطمي (18). بالمغرب يدعو له لإرسال جنوده الى مصر (19). لقد سعى الفاطميون منذ البداية لفتح مصر، نظراً لأهمية موقعها الجغرافي من الناحيتين السياسية والعسكرية، حيث تتوسط العالم الإسلامي، فهي قريبة من المراكز الإسلامية، كالمدينة المنورة، ودمشق، وبغداد، ويعني ذلك تمهيداً لامتداد نفوذهم للحجاز ودمشق، وقد تحقق ذلك لهم بعد سيطرتهم على مصر (20). لقد انتهج المعز سياسة تختلف عن سبقة من الخلفاء الفاطميين لتحقيق فتح مصر من خلال جملة من الخطوات والحلقات المكمل بعضها للبعض الآخر حيث بدء بسياسة الدعوة للنفوذ الفاطمي، وذلك من خلال ارساله الدعاة، لبث الدعوة الفاطمية في مصر، لتهيئة الظروف قبل توجه جيوشه لمصر (21). فضلاً عن مكاتبة بعض اشراف الدولة في القاهرة الى المعز الفاطمي، يدعو له لفتح مصر، لتوطيد الامن والعدل بسبب الاضطرابات التي حصلت فيها سنة (356هـ/966م) بعد وفاة كافور الاخشيدي (22). كان للمعز لدين الله الفضل الاكبر في تحقيق النصر، وذلك بفضل السياسة والخطة الرشيدة والمستوعبة لنقاط فشل الحملات الفاطمية الاولى في عهد المهدي، من استعدادات مادية ومعنوية وفكرية وعسكرية (6).

(16) كافور الاخشيدي : هو خادم محمد بن طغج الاخشيدي صاحب مصر، رياه واختص به من عبيده، ورقاه في بلاطه، فجعله من كبار قادة جيشه، وعهد اليه تربية ولديه ابي القاسم انوجور وابي الحسن علي، لكنه عمل على الاستئثار بالسلطة وحصوله على كتاب من الخليفة العباسي بتقليده على ولاية مصر من (355-357هـ/966-968م)، ووصف المؤرخون عهده بان أسود حيث توالى المصائب على مصر. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج3، ص426.

(17) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج1، ص376؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ص221

(18) احمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار المغرب الاقصى، د.م، د.ت، ج2، ص86.

(19) ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتاكي (ت874هـ/1480م)، النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، د، ت، ج4، ص30.

(20) حسن، علي ابراهيم، مصر في العصور الوسطى، ص87.

(21) الشريف، احمد واخرون، العالم الإسلامي في العصر العباسي دار الفكر العربي، القاهرة، 1995م، ص324.

(22) سيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، ط2، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 2000م، ص133.

(6) قامت الاموية في الأندلس والادارة والغالبة في شمال افريقيا والطولونية في مصر وجنوب الشام، والحمدانية في شمال بلاد الجزيرة، والزيدية في اليمن والقرامطة في البحرين، والطاهرية والصفارية في خراسان، والسامانية في بلاد ما وراء النهر وحتى

يرتبط ظهور الفاطميين في المغرب وهي الخلافة المعادية للعباسيين ، والتي غزت مصر وغيرها من بلدان الشرق ، بعاملين اساسين : ضعف الخلافة العباسية ونجاح التشيع فمنذ مدة كانت الخلافة العباسية في دار الاسلام ممزقة خارجياً وداخلياً فقد انقسمت املاكها الواسعة بين حكام مستقلين(1) فظهرت لهم وظيفة امرة الامراء لأول مرة في عهد الخليفة العباسي الراضي(329. 222هـ) (941. 934هـ) التي أبطلت الوزارة والدواوين ، واصبح لمتوليها كل السلطة من دون الخليفة ولهذا الضعف من قبل خلفاء العباسيين ، اطلق عليهم ،الخلفاء المستضعفين (2).

حيث بعد نشوء الدولة الفاطمية في شمال افريقيا 296هـ على يد المهدي العلوي وداعيته ابي عبد الله الشيعي انتصاراً حقيقياً للشيعية وتتويجاً لجهودها ومساعدتها في تسلم الخلافة في العالم الاسلامي او في قسم منه وعلى الرغم من أسست قبلها دولة علوية في المغرب الاقصى على يد ادريس الاول الذي هرب من معركة (فخ) زمن الهادي العباسي ، الا انها لم تستقطب امال الشيعة ولم تعبر عن اهتمامهم ، ولم يكن لها ذلك الوزن الذي اصبح للدولة الفاطمية فيما بعد (3) .

حيث كان الصراع قائماً بين ابناء علي بن ابي طالب (U) واحفاده وشيعتهم وبين خصومهم منذ ان استشهد علي إلى نجاح دعوة الاسماعلية بالمغرب على يد ابي عبد الله الشيعي(4) .

وقيام الخلافة الفاطمية ، وقد تعرض العلويون وشيعتهم من اجل المطالبة بحقهم في الخلافة إلى القتل والتتكيل والمطاردة ورغم ذلك فانهم لم يستسلموا وقاموا بعدة محاولات اولها حركة الحسين بن علي عليهما السلام بكربلاء سنة(61هـ/680م) ونهايتها المؤلمة (5).

في بغداد والعراق التي بقيت لها اصبح الخليفة نفسه اشبه بشيخ لا سلطان له تحت وصاية التغلب عليه من قواده الترك الاقوياء الذين اصبحوا يسيطرون عليه منذ المعتصم ، ابن الاثير ، الكامل ، ج6 ، ص254.

(1) ابن الاثير ، الكامل ج6 ص254.

(2) ابن خلدون ، العبر ، ص18 س2 .

(3) المقرئزي ، تعاضد الحنفاء بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء ، ج1 ص58 ، 60.

(4) الصالح ، السياسة الداخلية ، ص27 .

(5) الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، مطبعة الاستقالة ، القاهرة ، 1358هـ . 1939م ، ج5 ، ص468

نهاية الدولة الفاطمية

ان الضعف الكبير الذي انتاب الدولة الفاطمية بسبب المجاعات المتوالية التي أصابتها منذ سنة (447هـ/ 1055م) ، وحتى سنة (464هـ / 1071م) وبلغت ذروتها في السنوات (457-464هـ / 1065-1071م) ، وعرفت بالشدّة المستتصيرية * وشهدت مصر أشد أزمة اقتصادية مرت بها في العصر الإسلامي⁽²³⁾. وبلغ من نفوذ الوزراء في ذلك العصر أن غلب سلطان الخلفاء بشكل عام، وزاد نفوذ الوزراء حتّى أنّهم كانوا يُعينون بعض الخلفاء ويعزلونهم، بل ويتأمرون عليهم، كما إتخذوا ألقاباً كلقب «الملك» وألقاباً أخرى تفيد مزيداً من التفضيل مثل «الأكمل» و«الأفضل» و«الأشرف»، وأصبحت الوزارة أهم وظائف الدولة وأكبرها، حيث تضاءلت إلى جانبها وظيفة الخليفة. وأوّل هؤلاء الوزراء كان بدرّ الدين الجمالي، الذي جمع بين إمارة الجيش والوزارة، وكان الأمر الناهي في الدولة ما عدا في الشؤون الدينيّة⁽²⁴⁾.

يتضح من خلال العرض ان الدولة الفاطمية مرت بظروف سياسية داخلية وخارجية بالغة الصعوبة أثرت بشكل كبير على إضعافها ، فقد خسرت الدولة الفاطمية أملاكها في المغرب والحجاز واليمن وبلاد الشام وصقلية وتوالت الاضطرابات الداخلية بشكل كبير، وقد تطور التنافس على الوزارة في مصر في العصر الفاطمي الأخير إلى إستعانة بعض الطامعين فيها بأمراء الدول المجاورة مما ترتب عليه تطلع هؤلاء الأمراء على بسط سلطاتهم عليها⁽³⁾.

فقد انفرد شاور الذي كان والياً على الصعيد بالسلطة بعد تخلصه من الوزير العادل بن طلائع بن رزيك في المحرم من سنة 558هـ ، غير ان ضرغام احد قواد الجيش ما لبث ان أثار عليه وتقلد الوزارة فأضطر شاور إلى الإلتجاء بنور الدين محمود صاحب دمشق ليمده بقوة يستعين بها على استعادة نفوذه ، ووعده بأن ينزل له عن ثلث خراج مصر اذا ما عاونوه في التغلب على ضرغام وانتزع الوزارة منه فتردد نور الدين بادي الأمر في إجابة طلبه ، ثم ما لبث ان قوى عزمه على تحقيق رغبته⁽⁴⁾ ،

(23) سيد ، الدولة الفاطمية ، ص204.

(24) أمين، محمود حُسين ، بنو ملاعب في التاريخ (الطبعة الأولى)، دار الروضة. بيروت – لبنان، 1998م، ص 26 - 27.

(3) ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله المازني (ت697هـ) ،مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، مطبعة جامعة فؤاد، مصر، 1953م ، ج 1 ، ص137 . 139.

(4) ابن واصل ، المصدر السابق ، ج1 ، ص140.

فأعانه بحملة أسند قيادتها إلى اسد الدين شيركوه ، فلما وصلت هذه الحملة إلى القاهرة تصدت لضرغام وتغلبت عليه ، وبذلك خلا الجو لشاور ، فأعيد إلى منصبه في الوزارة في رجب سنة 559هـ ، وقد ألف يعقوب بن كلس* (967/هـ357م) لنفسه كتاب في فقه الطائفة الإسماعيلية فلا عجب إذن أن شهدت الدولة كثيراً من المؤامرات والفتن والدسائس والقلاقل ، فقامت ثورات داخلية ، انتفاضات ، وراح الناس يستجرون من تسلط اليهود والنصارى فلا يحاربون ، وزادت الحال سوءاً بظهور أفكار دينية شاذة كالاقتداء بحلول روح الله في الخليفة ، وأن الخليفة أعلى من بني الأنسان ، وأن الخلفاء إلى الله أقرب ، كما حدث للحاكم بأمر الله الذي كان له الكثير من البدع والخرافات التي أدخلها إلى دين الله تعالى ، وقد أسهمت المجاعات والأوبئة نتيجة انخفاض ماء النيل عدة مرات في إختلال الأمن وكثرة الإضطرابات ، وسوء الأحوال في البلاد ، ولم تر البلاد صلاحاً ولا إستقام لها أمر اما في الخارج فقد خرج بعض الولاة على الخلفاء الفاطميين خصوصاً في شمال أفريقية ، مما أدى إلى إستقلال تونس والجزائر ، وإستولت الدولة السلجوقية التي قامت بفارس والعراق على معظم بلاد الشام التابعة للفاطميين وإلى جانب هذا كله عمل الصليبيون في الإستيلاء على الأراضي المقدسة فأستولى على بيت المقدس من أيدي الفاطميين سنة 492هـ/1099م . ثم أخذوا يغيرون على أطراف الدولة المصرية ، وهكذا أخذت الدولة في الضعف حتى جاء صلاح الدين الأيوبي ، وقضى على الخلافة الفاطمية وذلك في سنة 567هـ / 1172م⁽²⁾.

ويذكر ابن الأثير بأن الفاطميين عادوا بعسكر من مصر ، لإسترداد بيت المقدس من السلاجقة بقيادة وزيرهم الأفضل في سنة 1096/489م بمعاونة أهله⁽¹⁾ . أما حقيقة موقف المصريين من انتهاء الخلافة الفاطمية فقد كان له وقع ألم وأسى ، بحيث ان ابن تغري بردي يقول : ان نفوس المصريين كادت تزهرق لإنتهاء دولة الفاطميين⁽²⁾. ولاريب فهذه الخلافة الفاطمية ، كان قد احبها المصريون ، لأنها جعلت من مصر دولة مستقلة استقلالاً تاماً ، وان الخلافة الفاطمية في مصر كانت اعياداً متواصلة مما لم يعرف له مثيل من قبل ، ليس فقط

* يعقوب بن كلس : من أشهر علماء الدعوة الفاطمية ووزير الخليفة العزيز (365-386هـ/975-996م) والذي حول الأزهر في سنة 378هـ إلى جامعة تدرس فيها العلوم والآداب بعد أن كان مقصوراً على إقامة الدعوة الفاطمية. ينظر: ايلسيف ، نيكينا ، الشرق الاسلامي في العصر الوسيط ، ترجمة : منصور ابو الحسن ، مؤسسة دار الكتاب، مصر، 1986م، ص326؛ وأرتقى يعقوب في المناصب حتى أصبح وزيراً للعزيز بن المعز ؛ وإليه يرجع الفضل في وضع قواعد الدولة ونظمها وأسند إليه المعز بعض دواوين دولته.. ينظر : متر ، ادم ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي ابو ريدة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1940م، ج1، ص191-90 .

(2) ماجد ، عبد المنعم ، الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه ، : مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة، 1959م، ، ص145

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص189 .

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة ، ج5، ص360.

للمسلمين من اهلها وانما ايضاً للقبط وانها كانت تقوم بسك دنانير خاصة بها كما كانت تفعل بأعياد المسلمين⁽³⁾ لذلك اعتبرها المصريون دولتهم ، حتى ان معظم المؤرخين اجمعوا على تسميتها دولة المصريين⁽⁴⁾.

المبحث الثاني

الأوضاع السياسية والدينية

لقد واجه الفاطميون صعوبات كبيرة في بسط نفوذهم على المجتمع الافريقي وذلك لان المذهب الغالب والسائد على المجتمع الافريقي هو المذهب المالكي⁽²⁵⁾. ويلى المذهب المالكي من حيث الثقل السياسي والمذهبي في المغرب ، القوي الخارجية* ، فللخوارج فرق عديدة في المغرب ابرزها ، فرقة الخوارج الصفرية** ، والخوارج الاباضية*** ، ثم هناك قوى أخرى هي المعتزلة**** ، وأخيراً هنا الشيعة الامامية وهم ثلاث فرق في المغرب البجلية* من الفرع الحسني ثم الموسوية الاثنا عشرية ثم الإسماعيلية . هذه هي المذاهب الدينية التي كانت منتشرة في المغرب قبل ظهور الدعوة الإسماعيلية على يد الفاطميين .

(3) ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، دار الفكر ، القاهرة ، 1953 . 1955 ، ص 131 . 136 .

(4) ابو شامة ، شهاب الدين ابي محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي (ت 665هـ/1266م) الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، القاهرة ، 1870م ، ج 1 ، ص 220 .

(25) سيد ، الدولة الفاطمية ، ص 124 .

* الخوارج : سمووا بذلك لخروجهم على كل امام ، واعتقادهم أن ذلك فريضة عليهم لا يسعهم المقام في طاعته حتى يخرجوا ويتخذوا لأنفسهم دار هجرة ، والمسلمون عندهم كفار مشركون الا من رافقهم وبايعهم ، فكان أول اجتماعهم وتحكيمهم حين خالفوا الامام علي (عليه السلام) في مسألة التحكيم في حربه مع معاوية سنة (37هـ/657م) . ينظر : ابن خلدون ، العبر ، ج 3 ، ص 141 وما بعدها ؛ عبيدان ، محمود سالم ، تاريخ الفرق وعقائدها ، دار الفرقان ، بيروت ، 1997م ، ص 56-59 .

** الخوارج الصفرية : وهم اتباع زياد بن الاصفر المقاعس القرشي ، وهم فرقة متطرفة . الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج 1 ، ص 159 ؛ وللتفصيل عنهم ينظر : عبيدان ، تاريخ الفرق ، ص 56 وما بعدها .

*** الخوارج الاباضية : وهم اتباع عبد الله بن اباض التميمي ، ثم تفرقت بعد ذلك الى عدة فرق منها : الحفصية - الحارثية - البيزيدية . للتفصيل عنها ينظر : البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص 82-88 ؛ عبيدان ، تاريخ الفرق ، ص 75-76 .

**** المعتزلة : مؤسس هذا المذهب هو واصل بن عطاء الغزال (131هـ/748م) . الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج 1 ، ص 56 ؛ البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص 96-100 ؛ البهادلي ، احمد ، محاضرات في العقيدة الاسلامية ، ديوان الكتاب ، بيروت ، 2004م ، ج 2 ، ص 254-257 .

* البجلية : هم اتباع المغيرة بن سعيد البجلي ويقال العجلي (ت 119هـ/737م) وقد دعا المغيرة بالكوفة لمحمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين السبط ثم لابنه جعفر بن محمد الصادق ، وبعد وفاة الصادق (عليه السلام) تحول اتباعه الى فرع الحسن فدعوا لمحمد ذو النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن . البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص 96-100 .

بداية الدعوة الفاطمية بالمغرب و ظهور أبي عبد الله الشيعي (ت299هـ/911م).

يذكر لنا المؤرخ الفاطمي (القاضي النعمان) من خلال معرض حديثه عن ابتداء الدعوة في المغرب قائلاً :
 ((قدم الى المغرب في سنة خمس وأربعين ومئة رجلين من المشرق هما الحلواني* * و ابو سفيان* * * ، قيل أن
 أبا عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام) بعث بهما وأمرهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمة من آل محمد صلوات
 الله عليهم وينشرا فضلهم ، وأمرهما أن يتجاوزا أفريقية الى حدود البربر ثم يفترقان ، فينزل كل واحد منهما ناحية
 (((26).

يتبين من ذلك بأن المغرب كانت تربة صالحة للدعوة للإسماعيلية الفاطمية في المدينة والضحية (أفريقية
 وبلاد البربر) ، فكان أحد الداعيتين وهو الحلواني الذي قصد بلدة سوجمار* ونزل في موضع هناك وبنى مسجداً
 ، حيث تزوج هناك ، وكان ذو علماً وفضلاً ، وتشيع على يديه العديد من قبائل كتامة* * . وقد مات الحلواني في
 الناظور من ارض سوجمار حيث قبره ومسجده هناك (27).

أما الداعي الآخر فهو ابو سفيان ، وصل تالالا* * * حيث بنى هناك مسجداً ، فكان أهل المنطقة يأتون
 عنده ويسمعون احاديثه ونشر التشيع في أهل مرجانة حيث توفي هناك وقبره فيها فمن خلال الحلواني وابي سفيان

** الحلواني : بضم الحاء وسكون اللام في الغالب منسوب الى حلوان ، وهي مدينة في اخر سواد العراق مما يلي بلاد الجبل (عراق العجم) ،
 وتشتهر بالتين . ابن عبد الحق ، صفي الدين عبد المؤمن (ت739هـ/1338م) مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق : علي
 محمد البجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت ، ج1 ، ص418.

*** ابو سفيان : هو ابو سفيان بن بكار ، قدم الى المغرب في سنة خمس وأربعين ومئة من المشرق مع الحلواني ، وقيل أن أبا عبد
 الله جعفر بن محمد (عليه السلام) بعث بهما وأمرهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمة من آل محمد صلوات الله عليهم وينشرا فضلهم ، وأمرهما
 أن يتجاوزا أفريقية الى حدود البربر ثم يفترقان ، فينزل كل واحد منهما ناحية ، فمن خلال الحلواني وابي سفيان انتشرت الدعوة في أرجاء
 أفريقية وأصبحت تلك البقاع مهياة لقدم الداعي عبد الله المهدي الخليفة الفاطمي الاول (297-322هـ/909-934م) لنشر الدعوة
 الإسماعيلية الفاطمية ، ينظر: ابن خلدون ، العبر ، ج4 ، ص32 ؛ القاضي النعمان ، رسالة افتتاح الدعوة ، ص58 .
 (26) القاضي النعمان ، المصدر السابق ، ص54.

* سوجمار : لقد اصاب هذا الاسم تحريفاً كثيراً في المصادر البعض يذكر سوق حمار ، أو سوق جمار أو سوق حماد ، ليس هناك تحديد لها في
 المصادر الجغرافية. القاضي النعمان ، المصدر نفسه ، ص57

** قبائل كتامة : وهي قبيلة كبيرة من البربر البرانس ينتسبون الى كتم بن برنس ويقيمون في ما يعرف ببلاد كتامة ، وتعتبر كتامة من أشد قبائل
 البربر بأساً وتمتد حدود عمارة بلادهم من حدود جبل أوراس في الجنوب الى سيف البحر ما بين بجاية وبونة . القاضي النعمان ، المصدر
 نفسه ، ص57 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج4 ، ص31-32
 (27) القاضي النعمان ، المصدر نفسه ، ص58 .

*** تالا : تكتب أيضاً تالة ، وهي مدينة قديمة في تونس ، تقع على بعد 45 ميلاً الى الجنوب من الكاف ، وعلى بعد 17 ميلاً الى الشرق من
 حدود الجزائر . ينظر: القاضي النعمان ، المصدر نفسه ، ص55 .

انتشرت الدعوة في أرجاء أفريقية وأصبحت تلك البقاع مهياًة لقدوم الداعي عبد الله المهدي الخليفة الفاطمي الاول (297-322هـ/909-934م) لنشر الدعوة الإسماعيلية الفاطمية (28).

لقد دام عهد الدولة الفاطمية من سنة 297هـ إلى سنة 567هـ . 910م . 1173م، ففي الفترة الأفريقية والتي دامت من (296 . 362هـ / 910 . 973م) تولى الحكم فيها أربعة خلفاء هم : عبيد الله المهدي (297 . 322هـ / 911 . 934م) الذي تولى أمر الخلافة في ظروف مليئة بالمخاطر والصعوبات ، وحينما توفى تولى الأمر بعده أبو القاسم محمد القائم (322-334هـ / 934-946م) ثم جاء بعده أبوه الطاهر إسماعيل المنصور (334-341هـ / 946-953م) . ويعتبر المؤسس الثاني للدولة . وذلك بعد تغلبه على أخطر ثورة جابهته هي ثورة صاحب وبعد وفاته (29)، تبوأ عرش الخلافة الفاطمية أبوه المعز لدين الله (342-365هـ / 954-976م) الذي يعتبر عهده أزهى عهود خلفاء المرحلة الأفريقية حيث أمتد نفوذه على كامل بلاد المغرب من برقة شرقاً إلى طنجة غرباً . وأستمال الثائرين إليه بفضل حسن سياسته ، وتسامحه مع البربر . كما تم في عهده فتح مصر على يد قائده جوهر الصقلي سنة 358هـ / 969م . ثم رحل هو إليها سنة 362هـ / 972م . ونقل إليها رفاة آبائه وأجداده ، وجعلها عاصمة لدولته (3) وكانت عاصمة الدولة فيها رقادة أولاً ، ثم المهديّة (4) ثم المنصورية (5) . وتعرض ملكهم لهزات عنيفة أوشك بعضها أن يعصف بكيانهم من أساسه . وذلك مثل ثورة أبي يزيد مخلد بن كيدل اليفرنى الزناتى الذى كان على المذهب الإباضى النكارى ، فأستفحل أمر ثورته ، وأستولى على معظم البلاد وحاصر المهديّة نفسها عدة شهور ، وأشدت أمره خاصة بين سنتي (332 - 334 / 944 - 946م) وتمكن المنصور من القضاء عليه سنة (336هـ / 996م) كما سبقت الإشارة إلى ذلك كما أن من أبرز أحداث المرحلة

(28) عبد المولى ، محمد احمد ، القوى السنية في المغرب من قيام الدولة الفاطمية الى قيام الدولة الزيديّة (276-361هـ/909-972م) ، دار المعرفة ، القاهرة ، 1958م، ج1، ص123 ؛ ابن خلدون ، العبر، ج4، ص32 ؛ عبد المولى ، المصدر السابق، ج1، ص122 .

(29) القاضي النعمان ، المصدر السابق، ص58 .

(3) ابن العماد الحنبلي ، عبد الحى الدمشقى العسكرى (ت1089هـ/1678م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، دار احياء التراث العربى ، دم . دت ، ج3 ، ص430 ؛ المقرئى ، الخطط ، ج1 ، ص353 .

(4) بناها عبيد الله المهدي سنة 308هـ / 922م؛ الاضطخري ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى (ت314هـ) ، مسالك الممالك ، تحقيق: محمد جابر عبد العال المبني دار صادر، ليدن ، 1937م ، ص39-ص33 .

(5) بناها المنصور الفاطمي سنة 336هـ / 948م ؛ ابن حوقل ، ابو القاسم النصيبى (ت367هـ/977م) صورة الارض ، مطبعة بريل ، ط2 ، ليدن ، ، 1938م، ص74 .

الأفريقية فتح مصر وبناء القاهرة والجامع الأزهر وانتقال المعز إليها حيث أصبحت عاصمة الدولة وقد أستخلف على المغرب بلكين بن زيرى الصنهاجي وبقيت بلاد المغرب تابعة للفاطميين إلى أن انفصلت عنهم نهائياً⁽¹⁾ .

اما الفترة الاخرى وهي المصرية فكانت محصورة بين سنتي (362. 567 هـ / 973. 1173م) وتولى الحكم فيها عشرة خلفاء⁽²⁾ .

وعلى الرغم من الحماس للدعوة في عهد الفاطميين فإن الدولة لم تجبر أحداً على إعتناقها ، أو أنها تعصبت ضد المذاهب الأخرى ، وأن من بعض من تولى مناصب الدولة الكبرى ، وحتى في القضاء ، كانوا من فقهاء المالكية والشافعية ، وقد لاحظ القلقشندي في ذلك، فقال : ((أن مذهبي مالك والشافعي ظاهراً الشعار في زمن الفاطمي ، بحيث أصبح المذهبين الكبيرين معا في أرض مصر تجربة رائدة))⁽³⁾ .

ويبدو أن سياسة الفاطميين اتجه المذاهب الاخرى فكانوا يراعون مذهب مالك ومن سألهم الحكم أي الفاطميين أتجاه مذهب مالك أجابوه ، ربما لأنهم عرفوه من قبل المغرب ، أو ليوجدوا للمذهب الشافعي منافساً ويضعفوه، اذ كان المذهب الشافعي مذهب غالبية المصريين قبل مجيء الفاطميين في مصر ومع ذلك يذكر المؤرخون ان الحاكم ومن بعده الظاهر قد تعصباً ضد المالكية على الخصوص⁽⁴⁾ .

لقد كانت هذه الفترة مليئة بالأحداث ، والثورات الخطيرة ، وأمتحن فيها الفاطميون بأقسى المحن ، وجعل أليه تولية القضاة والحكام بسائر البلدان⁽⁵⁾ .

ولما قدم المهدي من سجلماسة أقره على ذلك وفوض أليه السلطة ، قال عنه أبو العرب التميمي كان متشيعاً من قبل وكانت القضاة تكلمه فتناول على رجال صالحين فضربهم وحبسهم وآتى عبيد الله من سجلماسة فاقر المروزي على القضاء⁽¹⁾

(1) أين الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج7 ، ص46 ؛ ابن ظهيرة ، جار الله جمال الدين محمد بن نور الدين (ت في القرن العاشر الهجري) ، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق :مصطفى السقا وكامل المهندس ، القاهرة ، 1969م ، ص182 ؛ حسين ، مؤنس ، المساجد ، عالم المعرفة ، د.م ، 1987م ، ص204

(2) الصالح ، السياسة الداخلية ، ص10 .

(3) صبح الاعشى في صناعة الانشاء، ج3، ص524 .

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة ، ج4 ، ص178 ؛ عبد المنعم ، الحاكم بأمر الله ، ص89

(5) القاضي النعمان ، رسالة افتتاح الدعوة ، ص315 .

(1) التميمي (أبو العرب) محمد بن أحمد بن تميم القيرواني أبو العرب (ت 333 هـ / 954م) كتاب طبقات علماء أفريقيا وتونس ، تقديم وتحقيق: علي الشابي ، ونعيم عبد الباقي ، الدار التونسية للنشر ، 1968م، ص239.

وذكر الجودي ان تسلطه وجبروته على علماء القيروان يعود الى ما قبل قدوم عبيد الله المهدي من سجلماسه ونصه : ((وكان معتقداً مذهب الشيعة ومعروفاً بذلك فلما دخل الشيعي بادر إليه ودخل في دعوته ولزمه وولاه قضاء أفريقية فتصلب وكابر وتجبر وكانت أيامه صعبة وأخاف اهل السنة ثم خرج الشيعي إلى سجلماسه وأستخلف مكانه أبا العباس فأطلق يد المروزي وقوى أمره))⁽²⁾.

ومن جملة أعماله إصدار أمر إلى فقهاء القيروان يقضي بمنع الفتوى بمذهب مالك وغيره ولا يفنى أحد الا بمذهب زعم أنه مذهب جعفر الصادق ((ومن خالف هذه التعليمات أو أنهم بمخالفتها سلط عليه جام غضبه))
(3)

لقد وشي المروزي إلى أبي العباس المخطوم الذي أستخلفه أخوه على القيروان سنة 297هـ / 911م بكل من الفقيهين أبي أسحاق أبراهيم بن محمد بن حصين العنبي المعروف بأبن البرذون وبأبي بكر أبن هذيل وكل منهما كان من أعلام زمانه فقها وعلماء فقتلها ومثل بهما ، وقد ذكر ان في قتلها نصين مختلفين فمرة قال بأن أبا العباس هو الذي قتلها . ومرة قال بأن عبيد الله المهدي هو الذي قتلها ولكن ذكر أبن عذاري بأنهما قتلا من طرف أبي العباس المخطوم سنة 297هـ / 911م⁽⁴⁾

وقد تأثرت مصر بالمذاهب الإسلامية التي ظهرت في العصر العباسي وهي مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان أبن ثابت (ت 150هـ)⁽⁵⁾ ومذهب الإمام مالك بن أنس ، ويتميز مذهبه باعتماده على الحديث أكثر من أبو حنيفة ومذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي القرشي (ت 204هـ) ومذهب الإمام أحمد بن حنبل (ت 241هـ)⁽¹⁾. وفي سنة 148هـ خرج المنصور من بغداد إلى مكة حاجاً وهناك أجمع بالأمام مالك وقال له : ((يا أبا عبد الله رأيت أني أجلسك في هذا البيت فتكون من عمار بيت الله الحرام وأحمل الناس على علمك وأعهد إلى أهل الأنصار

(2) الجودي ، محمد ، تاريخ قضاة القيروان ، نسخ مصورة تحمل رقم ط3، المكتبة الوطنية التونسية، تونس، د، ت، ص42

(3) أبن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج1، ص159 .

(4) الدباغ ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري (ت 696هـ . 1297م) كتاب معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان ، المطبعة العربية بتونس، 1320م ، ج1، ص140 .

(5) الزلمي ، مصطفى ، البكري . عبد الباقي في المدخل للشيعة الإسلامية المكتبة الوطنية، بغداد، 1989م ، ص153 .

(1) شلبي ، المدخل في التعريف في الفقه الإسلامي، القاهرة، 1959م، ص192-200.

يوفدون اليك وفدهم ويرسلون إليك رسلهم في أيام حجهم فتحملهم من أمر دينهم على الصواب والحق أن شاء الله وإنما العلم علم أهل المدينة وأنت أعلمهم))⁽²⁾.

فقال الإمام مالك : ((يا أمير المؤمنين أن أهل العراق قد قالوا قولاً تعد فيه طورهم ورأيت أني خاطرت بقولي لأنهم أهل ناحية وأما أهل مكة فليس بها أحد وإنما العلم أهل المدينة وأن لكل قوماً سلفاً وأئمة فأن رأي أمير المؤمنين إقرارهم على حالهم فليفعل)) ، فقال المنصور : ((أما أهل العراق فلا يقبل أمير المؤمنين منهم صدقاً ولا عدلاً وإنما العلم علم أهل المدينة وقد علمنا أنك مما أردت خلاص نفسك ونجاتها))⁽³⁾ .

ويلاحظ من جواب مالك ورد المنصور عليه أن الخليفة كان كارهاً لأهل العراق ، لا يقبل منهم (صدقاً ولا عدلاً) كما كان ذاماً لهم لميلهم إلى الطالبين وإرجافهم بالسلطات⁽⁴⁾ ، ولا ننسى ابا حنيفة ، قد أفتى بشريعة ثورة محمد ذي النفس الزكية وأخيه وحث على الخروج معها حتى قال الأصفهاني: ((كان أبو حنيفة يجهر في أمر ابراهيم جهراً شديداً ، ويفتى الناس بالخروج معه))⁽⁵⁾.

وعلى الرغم من أن مذهب الإمام ابي حنيفة اقدم المذاهب السنية الا أن مذهب مالك هو الذي دخل مصر أولاً وأنتشر بها، فيذكر المقرئزي: ((ان أول من قدم بعلم مالك إلى مصر عبد الرحيم بن خالد بن يزيد بن يحيى مولى جمح وكان فقيهاً روى عنه الليث بن سعد وابن وهب ورشيد بن سعد وتوفى بالإسكندرية سنة 163هـ ؛ ثم نشره بمصر عبد الرحمن بن القاسم ، فأشتهر مذهب مالك بمصر أكثر من مذهب ابي حنيفة لتوفر أصحاب مالك بمصر))⁽¹⁾.

(2) أبين قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت 276هـ / 889م). الإمامة والسياسة، تحقيق: محمد الزيني، دار المعرفة ، بيروت، د، ت، ص170، 1 .

(3) ابن قتيبة ، المصدر نفسه ، ج2 ص 110 - 170

(4) البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر ، (ت279هـ) ، كتاب فتوح البلدان، تحقيق: الدكتور صلاح الدين المنجد، المطبعة السلفية، القاهرة ، د.ت ، ج2 ، ص353.

(5) أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد، (ت356هـ / 966م)، مقاتل الطالبين، تحقيق: إبراهيم الزين، دار المعرفة ، بيروت، د، ت، 1974م. ص5.

(1) المقرئزي ، الخطط، ج2 ، ص334

وقد عمل الفاطميون على إدخال خصائص المذهب الفاطمي (2) في الجوامع الرسمية ، وهي خصائص لا تختلف عن خصائص المذهب السني من حيث تناولها الدين الإسلامي ولكن بوجهة نظر خاصة (3).

فمنذ اليوم الأول ، الذي دخل فيه الفاطميون مصر ، جعلوا الأذان في المساجد الجامعة وهي الكبرى . بحي على خير العمل ، وذلك لأنهم يرون أن عمر بن الخطاب قد غير في الصيغة التي تنقلت عن النبي ، فقد كان عمر يرى أن الناس إذا سمعوا أن الصلاة خير من العمل ، تهاونوا في الجهاد ، وتخلفوا عنه (4) وكان الجهاد هو أهم عمل في وقته . وفي صلاة الجمعة جهروا بصوت عال بالبسمة (5).

وزادوا صبغة القنوت في الركعة الثانية ، التي مؤداها : ((اللهم نحن إليك قانتون)) وعلى النقيض أزالوا ما زاده السنيون في هذه الصلاة من قراءة ((سبح أسم ربك)) والتكبير بعد الصلاة ، وفي الصباح جعله الفاطميون على حساب لهم ثلاثين يوماً ، ولا يكون على الرؤية بطلب الهلال حتى لا يحدث ، اضطرب في أخطار المسلمين في أرجاء دولتهم الواسعة ، نتيجة الاختلاف الزمني في رؤية الهلال . وكذلك كانوا يحتفلون بيوم مقتل الحسين بن علي (عليه السلام) في العاشر من محرم عاشوراء سنة 61هـ بإحتفال رسمي وشعبي كبير إذ كان المصريون الشيعة يحتفلون به قبل مجيء الفاطميين في أيام حكامهم الإخشيديين (6) .

وكان قيام الحاكم في الدعوة الفاطمية بما لم يقم به أحد من قبله ، وعمل على أنجاحها ؛ مما جعل أتباعها يبالغون في تقديرهم لشخصية ، فظهرت أقوال كثيرة بين أتباع المذهب ، تبين أن الحاكم ليس بأمام مثل الأئمة ، إنما بشرت به الأنبياء ، وأشار إليه بالرمز بالتوراة ، ليأتي بأعمال باهرة (1).

سياسة الفاطميين مع أهل الذمة :

رأى بعض خلفاء العصر الفاطمي الأول بعد أن جاءوا إلى مصر بمذهب شيعي خالفوا به جمهور المسلمين أنهم بحاجة إلى من يعاونهم في تثبيت سلطانهم . ولما أيقنوا أنه من المتعذر عليهم الإعتماد على السنيين في مصر

(2) المصدر نفسه، ج4، ص156-157 .

(3) يقوم فقه الإمامة عند السنة على قاعدة الشورى واعتبارها سندا لشرعية الإمام في إمامته والمقصود بذلك أن الإمام أو الخليفة الشرعي هو من تختاره الأمة اختياراً حقيقياً للقيام بالنيابة عنه في تنفيذ أحكام الإسلام في حياتها شرط أن يكون رجلاً لا امرأة بالغاً عادلاً مطيعاً عاملاً رشيداً حراً عالماً ؛ الألويسي ، محمد ، الطائفية وفقه الخلافة عند الشيعة وأهل السنة ، دمشق ، 2002م ، موافقة وزارة الأعلام، ص27.

(4) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة الزاهرة ، ج1 ص123 .

(5) المقرئزي ، المصدر نفسه ، ج4، ص145. 146 ، .

(6) ابن تغري، النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة ، ج1، ص264.

(1) ابو الحسين، إدريس عماد الدين، (ت782هـ/ 468م)، عيون الاخبار وفنون الآثار، تحقيق : مصطفى غالب ، بيروت ، دار الاندلس ، د.ت. ص223.

أنصار الدعوة العباسية ، قربوا إليهم أهل الذمة وأظهروا لهم كثيراً من التسامح وإستخدامهم في أهم شؤون الدولة (2) . كذلك أحسن الفاطميون معاملة أهل الذمة كما كان الخلفاء الفاطميون لا يترددون في تفسير ما يتعلق بالمسيح ويبدون رأيهم في ما يتفق مع الاسلام، حيث ان علمهم الإلهي لا يجعلهم يتخرجون من ذلك . فقد كان يتكونهم في الاحتفال بأعيادهم مثل أليروز وهو عيد رأس السنة الميلادية القبطية(3).

وعيد الصليب وهو اليوم الذي عثر فيه البيزنطيون على الصليب الذي صلب المسيح عليه في القدس ، وعيد الغطاس ، وهو ذكرى تعميد المسيح بفلسطين . كذلك كان البطريك القبطي اذا تولى سلطته الدينية أستقبله الخليفة الفاطمي استقبالاً رسمياً في القصر (4) أستعان المعز لدين الله الفاطمي بكثير من الأطباء واليهود وما لبث أن عظم نفوذهم في بلاطه ، وصار يعقوب بن كلس الذي أسند إليه المعز بعض دواوين دولته يتحيز إلى إخوانه في الدين من قبل . وأرتقى يعقوب في المناصب حتى أصبح وزيراً للعز بن المعز ؛ وإليه يرجع الفضل في وضع قواعد الدولة ونظمها ، كذلك أتم عهد العز بالتسامح مع النصارى فزاد بلاطه في إكرامهم لما كان بينه وبينهم من صلة النسب (1) أذ تزوج من مسيحية ، وكان لها أخوان رفعهما العز إلى أرقى المناصب الكنيسة ، فعين أحدهما بطريركاً كما للملكانيين ببيت المقدس سنة 275هـ وعين الثاني مطراناً للقاهرة ، ثم رقى في عهد الحاكم بطريركاً للملكانيين بالأسكندرية سنة 390هـ (2) . وهم يهود أصلهم من خيبر وما يجاورها . الذين كان عمر نقلهم من الجزيرة إلى مصر . وذلك جرياً على السنة الأولى منذ أيام النبي (ﷺ) فأصدر الحاكم الأمر إلى أهل الذمة بالتمييز عن المسلمين بعلامات خاصة عرفت بالغيار ، بوضع زناير ملونة جعلها أسود حول أوساطهم ، ولبس العمائم السوداء على رؤوسهم (3).

(2) سرور ، محمد جمال الدين ، الدولة الفاطمية في مصر ، سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها ، دار الفكر العربي، القاهرة، 1390 هـ / 1970 م ، ص 86 .

(3) المقالة المسيحية ، من تأليف الإمام المعز بالخليفة بمصر ، وكان النص فيه تأويل ، حيث أن علمهم اللهي ، لم يجعلهم يتخرجون من ذلك . بما يتفق مع الإسلام . فالمسيح موصول بالله ، ولا مفصول عنه كقرص الشمس والشعاع . فهو باطن بما ظهر ، وظاهر بما بطن ، ظاهرة نبي رسول . وباطنه غيب لا يدرك ، ظهور الروح القدس ، وهو اللاهوت القديم . ينظر: المقرئزي ، الخطط، ج2، ص 24 .

(4) ميخائيل الأبناء ، ذيل سير الأبناء ، البطاركة الجزء الثالث مخطوط بدار الكتب ، برقم 6434 ، 3 ورقات ، ص 88 . 89 .

(1) متر ، دم ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي ابو ريدة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1940م، ج1، ص 90 . 191 .

(2) الانطاكي ابن سعيد ، يحيى (ت458هـ)، صلة كتاب سعيد بن بطريق المسمى " التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مطبعة الاباء اليسوعيين ، بيروت ، 1909م، ص 144 . 145 .

(3) الأنطاكي ، المصدر نفسه، ص 187، 195، 200، 202، 203 ؛ ميخائيل ، سير الأبناء 3 ورقات ص 54 . 55؛ المقرئزي الخطط ، ج4 ، ص 157 . 158 .

وكان من أثر سياسة التسامح التي أتبعها العزيز نحو الذميين أن ازداد نفوذهم في أيامه ، وأصبح بدواوين الدولة كثيرا من كتاباتهم وخاصة بعد أن عين هذا الخليفة منشاد بن أبراهيم الفرار اليهودي والياً على بلاد الشام وولى عيسى بن نسطورس كتابته ، فقد أساء المصريون المسلمون من إستئثار الذميين مناصب الدولة فقدموا للعزيز بالله الفاطمي الإحتجاجات على محاباته المسيحيين واليهود وتبين للخليفة حقيقة إستئثار الذميين بمعظم السلطات، فأمر بالقبض على عيسى ابن نسطورس وزملائه من الكتاب ، كما قبض على منشاد وغيره من الموظفين اليهود ، وأعاد الكتاب المسلمين إلى أعمالهم بالدواوين ، على أن العزيز لم يلبث أن عفا عن عيسى بن نسطورس بعد أن شفعت له أبنته الخليفة الأميرة ست الملك وزوجة المسيحية ؛ وولاه الوزارة بعد أن شرط عليه أن يولى المسلمين في الدواوين⁽⁴⁾ وبما أن الكتامين هم عصب الخلافة الفاطمية فقد طالبوا بعزل ابن نسطورس وتوليه زعيمهم أبي محمد الحسن بن عمار فأجاب الحاكم طلبهم وتقلد ابن عمار أمور الدولة ثم أسند الخليفة إلى ابن نسطورس ديوان الخاص لكنه لم يتمتع طويلاً بهذا المنصب ؛ فقد اتهم بالعبث بأموال الدولة ، وأعطى بذلك سلاحاً لخصمه ابن عمار فقبض عليه وقتله⁽¹⁾ ، ويبدو أن العامة من المسلمين كانت تشكو قسوة الموظفين من أهل الذمة⁽²⁾ .

لكن الخليفة الظاهر على النقيض من أبيه الحاكم في سياسته نحو أهل الذمة ؛ فلم يكذب يتولى الخلافة حتى عمل على إكتساب عطفهم بأن أصدر بياناً ، وأعلن فيه أنهم أحرار في عقائدهم وشعائرتهم ، وأن لا أكراه في الدين⁽³⁾؛ وأن من أثر منهم الدخول في الإسلام اختياراً من قلبه وهداية من ربه فليدخل فيه مقبولاً ولا مبروراً ، ومن أثر البقاء على دينه من غير إرتداد ! كان عليه ذمته وخياطته ، أخذ الشعور العدائي نحو الذميين يقل ويضعف منذ ذلك الوقت ؛ ولم يظهروا له أثر الا في فترات قصيرة وبخاصة حين يتقلد أحدهم مناصباً كبيراً من مناصب الدولة⁽⁴⁾ وعلى الرغم من تذرر المسلمين في مصر اسناد بعض مناصب الدولة إلى اليهود في عهد المستنصر ؛ فإن هذا الخليفة أظهر عطفاً وتسامحاً نحوهم ، فبعد مقتل التستري أسند إلى أخيه أبي نصر هرون ديوان خاصته ، كما

(4) الروزراوري ، أبو شجاع محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبراهيم الوزير صهير الدين أبو شجاع (ت 488هـ / 1095م) ذيل كتاب تجارب الأمم ، تحقيق: أمدرز ، القاهرة ، 1916م ، ص 186، 187 .

(1) الأنطاكي ، صلة كتاب سعيد بن بطريق المسمى "التاريخ المجموع على تحقيق، ص 180 .

(2) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 3 ، ص 5 ، س 14 ، ابن الأثير الكامل بالتاريخ ، ج 7 ، ص 340 .

(3) حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص 208

(4) المصدر نفسه ، ص 209 ، 201 .

ثارت حفيفة أم المستنصر على صدفة بن يوسف الفلاحي لتأمره على قتل التستري ، وانهى الأمر بإقالته من الوزارة وقتله في أوائل سنة 440 هـ⁽⁵⁾

⁽⁵⁾ ابن منجب الصيرفي، ابو القاسم بن منجب الصيرفي المصري (ت554هـ/1159م) الاشارة الى من نال الوزارة، تحقيق : عبد الله مخلص ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة ، 1924م، ص 27. 28 .

الخاتمة

بفضل من الله اكملت موضوع البحث وتوصلت الى مجموعة نتائج منها :

- بعد ان ايقن الخلفاء الفاطميون بان المغرب لم تعد بيئة امانة لدعوتهم وذلك لكثرة المخالفين لهم من الخوارج واصحاب المذهب المالكي انتقلت الدعوة الفاطمية من المغرب الى مصر سنة 358هـ.
- من العوامل المشجعة لدخول الفاطميين الى مصر هي حالة الفوضى السياسية والاقتصادية التي عاشتها مصر حيث اتخذها الفاطميون قاعدة لحكمهم ومركزاً لنشر دعوتهم في بقية انحاء العالم الاسلامي .
- كان الخلفاء الفاطميين جميعهم محبين ومشجعين للعلم والعلماء فهم من اهل بيت علم وثقافة واسعة توارثوها عن جدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان ذلك واضحاً من خلال الجذب الواسع للعلماء من انحاء المشرق والمغرب الاسلامي للقاهرة على اختلاف علومهم ومذاهبهم . وقاموا في مصر حركة عمرانية واسعة توجت ببناء القاهرة المعزية سنة ، وبناء الجامع الازهر سنة فبقيت اثاراً شاخصة مجدتهم على مر العصور .
- وبأمر من الخليفة الفاطمي المعز لدين الله دخل القائد جوهر الصقلي مصر وبذلك بدأ العصر الفاطمي بمصر (358-567هـ / 969 - 1171م)، وبعد ان استقر الفاطميون في مصر أنشأوا عاصمة جديدة للخلافة الفاطمية وهي القاهرة، وهي العاصمة الرابعة لمصر الإسلامية بعد الفسطاط ، وأنزل القائد جوهر عساكر الخليفة المعز من مختلف الأجناس في مواضع بالعاصمة الجديدة عرفت بالحارات لأن المدينة أنشأت أصلاً لهدف عسكري فأرادها أن تكون حصناً فيما بين أعدائها القرامطة وبين مدينة الفسطاط ليقاقلها من دونها فكانت كل حارة تسكنها جماعة من جنس واحد وتسمى به وتتكون من معسكرات العسكر وأسرههم ومن أسواقهم وحاجاتهم وكان الغرض من ذلك منع الجند من مضايقة السكان .
- وذكر المؤرخ ابن عبد الظاهر (ت 695هـ / 1295م) إن جوهر لما أناخ في موضع القاهرة اختط القصر فأصبح المصريون ليهنئوه فوجدوه قد حفر أساس القصر في الليل وعندما أتم جوهر بناء القصور وأدار حولها السور سماها المنصورية نسبة إلى المنصور والد المعز ولما قدم المعز إلى مصر سماها القاهرة تفاؤلاً بأنها ستقهر الأعداء .

- ومن أعمال جوهر الصقلي قائد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الأخرى بعد عملية الفتح انشاؤه الجامع الأزهر في 24 جمادى الأولى 359هـ/ 4 أبريل 970م أي بعد عام من تأسيس مدينة القاهرة بنحو ستة أشهر فكان افتتاحه للصلاة بصفة رسمية في يوم الجمعة 7 رمضان سنة 361هـ/971م.
- لم يقتصر الخلفاء الفاطميين إلى نشر دعوتهم الدينية فحسب بل عملوا على القيام بحركة علمية واسعة كان لها صداها بحيث انها نافست مركز الخلافة العباسية في بغداد ومركز الخلافة الاموية في الاندلس فقصدها العلماء من كل حذب وصوب بعضهم على غير ملة المذهب الفاطمي والقوا فيها علومهم الدينية والفقهية والعلمية والانسانية .وفي ذلك دليل على تسامح الخلفاء الفاطميين الذين طالما اتهموا بتقييد ومعاداة العلماء المخالفين لهم في المذهب .
- تختلف الدعوة الفاطمية تمام الاختلاف عن الدعوة الاسماعيلية وما تفرع عنها من دعوات كالدعوة القرامطية والدعوة النزارية والدعوة المستعلية وانما هي دعوة قائمة بحد ذاتها .
- اوجد الخلفاء الفاطميين منصب داعي الدعاة وهو يمثل مرتبة كبيرة في الدعوة مهمته تنظيم المجالس الخاصة بالدعوة وعرضها على الخليفة قبل ان يعقدها باعتباره امام الدعوة .

المصادر

- ابن اسحق، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت،476هـ)، كتاب فتوح مصر وأعمالها القاهرة ،1275هـ .
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت630هـ / 238 م)، الكامل في التاريخ ،القاهرة 1303هـ.
- ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي دمشقي العسكري (ت1089هـ/1678م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، دار احياء التراث العربي ، دم ، د.ت .
- البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت429هـ/1037م) الفرق بين الفرق ، دار الفكر ، مصر ، 1910م.
- البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت279هـ) ،كتاب فتوح البلدان، تحقيق: الدكتور صلاح الدين المنجد، المطبعة السلفية، القاهرة ، د.ت .
- تقي الدين احمد بن علي (ت845هـ) ، اتعاظ الحنفاء بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق : د. جمال الدين الشيال ، القاهرة ، 1996م 9 .
- التميمي (أبو العرب) محمد بن أحمد بن تميم القيرواني أبو العرب (ت 333هـ /954م) كتاب طبقات علماء أفريقيا وتونس ، تقديم وتحقيق: علي الشابي ، ونعيم عبد الباقي ، الدار التونسية للنشر ، 1968م.
- ابو الحسين، إدريس عماد الدين، (ت782هـ /468م)، عيون الاخبار وفنون الاثار ، تحقيق : مصطفى غالب ، بيروت ، دار الاندلس ، د.ت .
- الحموي ، ياقوت الحموي ، ابو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/1228م)معجم البلدان ، دار احياء التراث ،بيروت ، د.ت .
- الخربوطلي ،علي حسن ، مصر العربية الاسلامية – السياسة والحضارة في مصر في العصر العربي الاسلامي منذ الفتح العربي الى الفتح العثماني ،مصر ، 1963م.
- الدباغ ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري (ت696هـ . 1297م) كتاب معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان ،المطبعة العربية بتونس، 1320م .
- ابن سعيد المغربي ، علي بن سعيد (ت673هـ) المغرب في حلى المغرب – القسم الخاص بمصر ،القاهرة ، د، ت .
- السيوطي ، عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين (ت 911 . 1505م) حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ، دار الفكر ، القاهرة،1327هـ / 1909م.
- الشهرستاني ،ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر احمد(ت548هـ/1153م) ،الملل والنحل ، تحقيق : امير علي وعلي حسن فاعود ، دار المعرفة، بيروت ، 1992م.
- ابو شامة ، شهاب الدين ابي محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي(ت665هـ/1266م) الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، القاهرة ، 1870م.
- الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، مطبعة الاستقالة ، القاهرة ، 1939م .
- الاصطخري ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي(ت314هـ) ، مسالك الممالك ، تحقيق: محمد جابر عبد العال المبني دار صادر ، ليدن ، 1937م .
- الروزراوي ، أبو شجاع محمد بن الحسن بن عبد الله بن ابراهيم الوزير صهير الدين أبو شجاع (ت 488هـ / 1095م) ذيل كتاب تجارب الأمم ، تحقيق: أمدرز، القاهرة ، 1916م .
- ابن ظهيرة ، جار الله جمال الدين محمد بن نور الدين (ت في القرن العاشر الهجري) ، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق :مصطفى السقا وكامل المهندس ،القاهرة ، 1969م .

- ابن عبد البر ، ابي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم التمري القرطبي المالكي ت463هـ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب . الجيل ، ط1، بيروت، 1412هـ / 1992 م.
 - ابن عبد الحق ، صفي الدين عبد المؤمن (ت739هـ/1338م) مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة والنباع ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت .
 - ابن عبد الحكم ، ابو القاسم عبد الرحمن (ت 242هـ)، كتاب فتوح مصر والمغرب والأندلس نشرة لندن توري 1920م.
 - ابن عذارى ، أبو عبد الله محمد المراكشي (ت، بعد 712هـ/1312م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق: ج.س. كولان واليقي بروفنسال، بيروت، د، ت .
 - ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت 276هـ / 889م). الإمامة والسياسة، تحقيق: محمد الزيني، دار المعرفة ، بيروت، د، ت.
 - ابن منجب الصيرفي، ابو القاسم بن منجب الصيرفي المصري (ت554هـ/1159م) الاشارة الى من نال الوزارة ،تحقيق : عبد الله مخلص ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي ،القاهرة ، 1924م، ص27. 28 .
 - ابن منظور ،ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المغربي (ت ،711هـ)، لسان العرب ، بيروت 1955م.
 - ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله المازني (ت697هـ) ،مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، مطبعة جامعة فؤاد، مصر، 1953 م .
 - ابو الفداء ، تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1840م، ص145؛ مغنية ، محمد جواد ، دول الشيعة في التاريخ ، مطبعة الآداب ، النجف ، 1948م.
 - أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد، (ت356هـ / 966م)، مقاتل الطالبين، تحقيق: إبراهيم الزين، دار المعرفة ، بيروت، د، ت، 1974م.
 - القاضي النعمان ، ابو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن احمد بن حيون التميمي (ت363هـ/973م)، رسالة افتتاح الدعوة – رسالة في ظهور الدعوة العبيدية (الفاطمية) ط1، تحقيق : وداد القاضي ، دار الثقافة ، بيروت ، 1970م.
 - القلقشندي، ابو العباس احمد (ت 823هـ . 1418م) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، القاهرة، 1913م .
 - الكندي ، ابو عمر بن محمد بن يوسف (ت،350هـ / 961م)، كتاب الولاة والقضاة، مهذباً ومصححاً بقلم رفن كست ، مطبعة الآباء اليسوعيين ،بيروت، 1908م.
 - متر ، ادم ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي ابو ريده ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ، 1940م.
 - المسعودي، ابو الحسن علي (ت 346هـ . 956م) ،مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق: اسعد داغر ، دار الاندلس ، بيروت، 1965م.
 - المقرئزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت 845هـ / 1441م) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقرئزية ، بولاق، 1270هـ.
 - _____ ، اغائة الامة بكشف الغمة ،دار الهلال ،مصر ، 1990م.
 - النوبختي ، ابو محمد الحسن بن موسى (ت288هـ/900م) فرق الشيعة ،تعليق :السيد محمد صادق بحر العلوم ، النجف ، د، ت.
- المراجع
- ابن بطريق، البطريرق اتيشيوع المكنى يسعيد بن بطريق،(328هـ / 939م) ، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مطبعة الآباء اليسوعيين ،بيروت 1909م.
 - احمد بن خالد الناصري ، الاستقصاء لأخبار المغرب الاقصى ، دم ، د.ت.
 - الألوسي ، محمد ، الطائفية وفقه الخلافة عند الشيعة وأهل السنة ، وزارة الأعلام، دمشق، 2002 م .
 - أمين، محمود حسين ، بنو ملاعب في التاريخ (الطبعة الأولى)، دار الروضة. بيروت – لبنان، 1998م.

- ايلسيف ، نيكينا ، الشرق الاسلامي في العصر الوسيط ، ترجمة : منصور ابو الحسن ، مؤسسة دار الكتاب، مصر، 1986م.
- البهادلي ، احمد ، محاضرات في العقيدة الاسلامية ، ديوان الكتاب ، بيروت ، 2004م.
- ثامر ، عارف ، المستعلى بالله ، ط1 ، دار الجيل ، د ، م ، 1980م.
- الجودي ، محمد ، تاريخ قضاة القيروان ، نسخ مصورة تحمل رقم ط3، المكتبة الوطنية التونسية، تونس، د، ت.
- حسن ، علي ابراهيم ، مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي الى الفتح العثماني ، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، 1947م.
- _____ ، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب - مصر - سورية وبلاد العرب ، ط3 ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، 1964م.
- _____ ، تاريخ جوهر الصقلي ، ط1، تحقيق:مصطفى محمد ، مصر ، 1933م.
- حسين ، مؤنس ، المساجد ، عالم المعرفة ، د.م ، 1987م .
- حمادة ، محمد ماهر، الوثائق السياسية والادارية للعهود الفاطمية والاتباكية والايوبية - دراسة ونصوص ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1980م.
- الزلمي ، مصطفى ، البكري . عبد الباقي في المدخل للشرعية الإسلامية المكتبة الوطنية، بغداد، 1989م .
- السراج ، محمد بن محمد الاندلسي (ت1149هـ)، السلسلة السندسية في الاخبار التونسية ، تحقيق :محمد الحبيب ، دار الثقافة الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1970م.
- سرور ، محمد جمال الدين ، الدولة الفاطمية في مصر ، سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها ، دار الفكر العربي، القاهرة، 1390 هـ / 1970 م .
- سيد ، أيمن فؤاد ، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ، ط2، الدار المصرية اللبنانية ، مصر، 2000م.
- الشريف ، احمد واخرون ، العالم الاسلامي في العصر العباسي دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1995م.
- شلبي ، المدخل في التعريف في الفقه الإسلامي، القاهرة، 1959م.
- الشيال، جمال الدين ، تاريخ مصر الاسلامية، من الفتح العربي الى نهاية العصر الفاطمي، دار الفكر، القاهرة، 1967م،
- الصالح ، مرمول محمد ، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الاسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1983م .
- العبادي ، احمد مختار ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1971م.
- عبد المولى ، محمد احمد ، القوى السنية في المغرب من قيام الدولة الفاطمية الى قيام الدولة الزيدية (276-361هـ/909-972م) ، دار المعرفة ، القاهرة ، 1958م.
- عبد الوهاب ،حسن حسني ، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيا ، تونس ، 1966م.
- عبيدان ، محمود سالم ، تاريخ الفرق وعقائدها ، دار الفرقان ، بيروت ، 1997م،
- عمارة ، محمد ، عندما اصبحت مصر عربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، دراسة عن المجتمع المصري في العصر الفاطمي، بيروت ، 1974م.
- ماجد ، عبد المنعم ، الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه ، : مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1959م.
- _____ ، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، دار الفكر ، القاهرة ، 1953-1955 .
- مشرفة ، عطية مصطفى ، نظم الحكم في مصر في عصر الفاطميين (358-567هـ/968-1711م) ط2، د.م، د، ت
- ميخائيل الأنباء ، ذيل سير الأدباء ، البطاركة الجزء الثالث مخطوط بدار الكتب ، برقم 6434.

